

الصناعات الدوائية الأندلسية

أ.م.د عبد الحميد حسين أحمد السامرائي
كلية التربية بنات / جامعة تكريت

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الذي بعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فمهما استدارت الدراسات واذنت الفلسفات فأن مدار افلاكها جميعاً هو ذلك النظام الحيوي الذي يمضي به الانسان الى ما يشاء الله له من حياة .

دخلت الاندلس الاسلامية في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اول التأثيرات العلمية الطبية والصيدلانية من المشرق لوصول الطبيب الصيدلاني يونس بن احمد الحراني الى قرطبة انتقله الى البلاط في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ / ٩١٢-٩٦١ م) وابناه احمد وعمر الذين درسا على ثابت بن سنان بن قرة في بغداد (٣٣٠-٣٥١ هـ / ٩٤١-٩٦٢ م) ، فنحن إزاء فترة الخلافة في قرطبة التي سعت الى جمع المعارف والمعلومات ، وقد قادت تلك السياسة الى الطفرة العظيمة في ميدان العلوم في بلاد الأندلس عقب القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

وهكذا حل علم الصيدلة المشرقي المتأثر بالنصوص الإغريقية واللاتينية والهنديّة محل المعارف الصيدلية الشعبية المتواضعة والعتيقة والمنحدرة من الفترة الرومانية المتأخرة في بلاد الأندلس . وكان كتاب الحشائش لديسقوريدس - النباتي اليوناني الذي عاش في القرن الأول الميلادي- الذي نقله الى العربية اسطفان بن باسيل احد أهم الكتب الوافدة إلى قرطبة بعد ان اهدي الامبرطور البيزنطي نسخه بديعة الى الخليفة عبد الرحمن الناصر وأرسل الراهب نيقولا الى قرطبة واستطاع العرب بمعونة هذا الراهب ان يتعرفوا على هوية القسم الأكبر للنباتات المذكورة فيه ، وهو أنجاز ذو أهمية فائقة لان اللغة اليونانية العلمية أصبحت تشكل منذ ذلك الحين جزء من ميراث مجموعه من الحكماء في قرطبة .

ونتيجة لازدهار الطب والصيدلة في عصر الخلافة ، اسس الخليفة الحكم المستنصر بالله ديوان الاطباء ، يسجل فيه اسم كل طبيب محترف مهنة الطب والصيدلة واذا ارتكب خطأ يتوجب العقاب ، وكان رئيس الديوان يعرف برئيس الصناعة الطبية وهو منصب هام يقابل ما يطلق عليه في الوقت الحاضر وزير الصحة ، اذ كان المسؤول الاول امام الخليفة في صناعة الطب وما يتعلق بها من الادوية والعقاقير .

عرفت بلاد الاندلس في اواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الملاحظات النباتية الشائعة في المشرق ، اذ يردد ابن سمجون عاش في حدود (٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) اصداء كتاب الفلاحة النبطية وكتاب النبات لأبي حنيفة الدنيوري ت (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) .

وهكذا وصل علم النبات والصيدلة قمته في بلاد الاندلس في كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب) الذي دونه كاتب نجهل هويته في اواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وذلك



لتوفره على مقال رائع في تصنيف النبات حسب الجنس والنوع والصنف ، وهو نظام تصنيفي أكثر تطوراً من النظم السابقه له الى حد كبير .

واثرت الدراسات النباتية على تطور العلوم الدوائية فقد شهد عصر الخلافة بروز ابن الجزار (ت: ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) الذي خصص في داره مكاناً لصنع الادوية مفرقاً (بيت العيادة ، وبيت الصرف) وبذلك بدأ تاريخ الصيدلة .

قسم البحث إلى أربع معطيات أساسية :

اولهما ، تناولت فيه علم الصيدلة عند العرب ، فقد تبين بأن العرب هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة وصنع الادوية التي رفعوها الى مستوى تجارة الأدوية والعقاقير الطبية ،

وثانيهما : تطور الصناعات الطبية ، بظهور مجموعة من المشتغلين بعلم الادوية ، الذين كانوا يؤلفون مدرسة بعلم العقاقير وقد ساهم في تقدمها بعض العشابين الذين رحلوا من المشرق الى الاندلس من امثال احمد بن ياس ، رائد الحركة الطبية والصيدلانية في الاندلس ويوسف بن احمد الحراني الذي ادخل معجوناً لاوجاع الجوف .

وثالثهما : ازدهار الدراسات الدوائية ، حينما تطور علم الادوية تطوراً عظيماً بفضل النص العربي لكتاب الحشائش لديسقوريدس الذي اعده اطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . وهو انجاز ذو اهمية فائقة ، لان اللغة العلمية اليونانية اصبحت تشكل منذ الان جزء من ميراث مجموعة من الحكماء امثال حسداي بن شبروط وابن جلجل ومسلمة المجريطي ، وما كان له من اثر حاسم على مجريات الدراسات الطبية والصيدلانية .

اما الرابع ، فتناولت فيه رموز علماء الادوية ، الذين كانوا ثمرة الدراسات الدوائية في نهاية عصر الخلافة والعصور اللاحقة ، اضافة الى الابتكارات والاختراعات العربية التي تمخضت عن الفكر العربي الاسلامي فيما يخص الادوية واستخداماتها .

أولاً : علم الصيدلة عند العرب :

اشتهر علم الصيدلة بين العرب بعلم المفردات او العقاقير او الادوية وهذه الاخيرة نقلت للاوربيين باسم (Drogue) وللعرب نصيب كبير في نشأت الصيدلة وتقدمها ، فقد بلغت على ايديهم مبلغاً عظيماً من الرقي ، فالعرب هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة التي رفعوها الى مستوى تجارة العقاقير ، وهم الذين انشأوا المدارس التحضيرية والاماكن لبيعها وتصريفها ، واخضعوا هذه الصناعة لرقابة الدولة لمنع الغش .

وكان الصيادلة لايزاولون مهنتهم الا بعد الترخيص لهم وقد افتتحو الصيدليات العامة في عهد ابي جعفر المنصور ، كما الحقوا بكل مارستان صيدلية خاصة بها ومنذ ايام المأمون كانت لصيدليات تحت اشراف الدولة^(١) .

وقد حل علم الصيدلة المشرقي المتأثر بالنصوص الاغريقية واللاتينية والهندية ، محل المعارف الصيدلانية الشعبية المتواضعة والقديمة والمنحدرة من الفترة الرومانية المتأخرة في الاندلس .

والسبب في تقدم هذا الفن عند العرب ، انه كان تابعاً لعلم الكيمياء ، الذي نضج كثير على ايديهم فهم الذين اخترعوا الاشربة والكحول والمستحلبات والخلاصات الطبية المختلفة ، واستنبطوا كثير من العقاقير لاتزال على اسمائها التي وصفت بها^(٢) . مثل اللعوقات والحبوب والاقراص والسفوف والمعاجين والدهن والكحول والافيون والخشخاش وست الحسن والترياق والاشربة والحقنه والضماد وغيرها^(٣) .

وتقدم العرب في معرفة خواص العقاقير ، سواء كان من اصل نباتي او معدني او حيواني ووضعوا شتى الرسائل في الاغذية والادوية المفردة والمركبة، وكانوا لا يرون التداوي بالادوية ما امكن التداوي بالأغذية^(٤) . وكان العرب يعرفون جيداً ان علم الصحة يعلمنا طرق الوقاية من الامراض التي لا يستطيع الطب شفائها ، وما سار عليها ابناء البلاد الحارة من تفضيل الطعام النباتي على الطعام الحيواني غاية من الحكمة ، وكان من عادة مؤلفي العرب ان يوجزو وصاياهم الصحية في كلمات جامعة يسهل حفظها وفي ذلك ما قاله طبيب عربي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي : ((ليس شيء اضر بالشيخ من ان تكون له جاريته حسناء وطباخ ماهر))^(٥) .

وقد عبر الى البلاد الاوربية سيل من العقاقير العربية عن طريق البندقية وصقلية والاندلس وتدفت معها كتب كثيرة في الادوية ، كما انتقلت الى اوربا من الشرق اعشاب ونبات لاحصر لها^(٦) .

ثانياً : بداية تطور الصناعات الدوائية :

يرتبط علم الصيدلة والطب ارتباطاً وثيقاً في العصور الوسطى بالرياضيات والفلسفة والهندسة ، ولذلك يجمع كثير من العلماء بين هذه العلوم ويصعب التفريق بينها .

والصيدلة عموماً متصلة بعلم الاعشاب وبعلم الحيوان والكيمياء ولهذا فان الادوية نباتية وحيوانية ومعدنية تحتاج دراية في اصلها والى نسب في التراكيب تقتضي المعرفة بالكيمياء .

نشأت الصيدلة منذ زمن قديم ويقترن تاريخها بتاريخ الدواء ، وفي البداية كان الطبيب يداوي الناس ، وهو في الوقت نفسه صيدلياً يعد الدواء للمريض وكان له مساعدون يعاونونه في جميع النباتات الشافية ولما كثرت العقاقير وتوعدت طرق تركيبها ، انفصلت مهنة الطب عن مهنة الصيدلة ، فأصبح الصيدلي هو الذي يجمع الادوية ويختار الاجود من انواعها على احسن التراكيب التي وضع اساسها افضل الاطباء والعشابين^(٧) .

اشتهر الصيادلة في تركيب الادوية بنسب معينة ، أي جمع المواد المراد صنع الدواء منها ومزجها بموجب مقادير معينة ، وهذه الصنعة لا يعرفها الا الحاذق بها فقد حاول بعض اصداقاء الصيدلي احمد بن يونس الحراني الذي وفد من المشرق الى الاندلس ان يقلدوه في تركيب الادوية ففشلوا لان الحراني اكتسب شهرة واسعة وكان يبيع شربة الدواء بخمسين ديناراً^(٨) .

ففي عصر الامارة كانت قرطبة مركز الدراسات الصيدلانية ، ففيها ظهرت اعظم مجموعة من المشتغلين بعلم الادوية ، الذي كانوا يؤلفون مدرسة في علم العقاقير ، فقد ساهم في تقدمها بعض العشابين



الذين رحلوا الى الاندلس من المشرق ، نتيجة الاضطراب السياسي كما يقول احمد امين (علماء يضيق بهم المشرق من الفاقة فيرحلون الى الغرب و علماء من الغرب يعوزهم العلم فيرحلون الى الشرق) (٩) .

وبحث علماء الادوية من العرب في النباتات وفي تطبيقاتها على الطب على الخصوص وانشأوا حدائق زرعوا فيها اندر النباتات واكثرها طرفه ، ومن ذلك ما اشتملت غرناطة على حدائق رائعة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ومن ذلك كان للأمير عبد الرحمن الداخل حديقة مثلها بالقرب من قرطبة ، وانه اوفد جماعة من علماء الطبيعة الى سوريا وغيرها من اقطار اسيا ليأتوا اليه بأعز النباتات (١٠) .

فالطب مدين للعرب بعقاقير كثيرة كالسليخة والسنا المكي والراوند والتمر الهندي وجوز القبيء والقرمز وكافور والكحل وما الى ذلك ، وهو مدين لهم بفن الصيدلة وبكثير من المستحضرات التي لا تزال تستعمل كالأشربة واللحوق واللزقات والمرامم والدهان والمياه المقطرة.....الخ (١١) .

والطب مدين لهم كذلك بطرق المداواة اذ عاد اليها على انها اكتشافات حديثة بعد ان نسيت زمنياً طويلاً ومنها طريقة امتصاص النبات بعض الادوية كما صنع ابن زهر الذي كان يعالج المرضى المصابين بالقبض بأطعمهم عنباً اشرب من بعض المسهلات ، وبذلك يقول ابن ابي اصيبعة ((ان الخليفة عبد المؤمن احتاج الى شرب دواء مسهل وكان يكره شرب الادوية المسهلة فتلطف له ابن زهر (ابو مروان عبد الملك بن زهر بن مروان) في ذلك واتى الى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة ادوية مسهلة ينقعها فيه او يغليانها معه ولما تشربت الكرمة قوة الادوية المسهلة التي ارادها وطلع فيها العنب وله تلك القوة ، احم الخليفة ، ثم اتاه بعنقود منها و اشار عليه ان يأكل منه ... فاستخبره عن عله ذلك وعرفه به ، ثم قام على عدد ما ذكره له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا)) (١٢) .

ومن مآثر العرب في هذا المجال ، ادخالهم نظام مراقبة الادوية عن طريق الحسبة ، كما فرض على الاطباء ان يكتبوا ما يصفون للمريض من دواء على ورقة كانت تسمى (الدستور) في بلاد الشام ، و(النسخة) في بلاد المغرب والاندلس و(الصفة) في بلاد العراق ، كما كان الصيادلة العرب عندما يبيعون الادوية الجاهزة يكتبون عليها طريقة الاستعمال ، وزيادة في الحيطة والحذر من اجل ايجاد صيادلة امناء وكفؤين اقرت الدولة ومنذ زمن المأمون بأمتحان امانة الصيادلة ، ومن يثبت امانته يمنح شهادة تجيز له العمل (١٣) .

اما فيما يتعلق بتأليف كتب الادوية ، فقد وضع الاندلسيون عصارة افكارهم ونتائج تجاربهم في علم الصيدلة في كتب خاصة عرفت بأسم (الاقرباديين) وهي كلمة من اصل يوناني ومعناها رسالة صغيرة تصور بوضوح ما كان عليه علم الصيدلة عند الاندلسيين . وسوف نأتي عليها حينما نتكلم عنها في مواضعها .

أ. اوائل النباتيين المعاهدين :

اول من اشتغل بالطب والصيدلة جماعة من المعاهدين لعدم معرفة العرب بهذه الصنعة منهم خالد بن يزيد بن رومان النصراني ، كان بارعاً في الصيدلة زمن الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ — ٢٧٣

هـ/٨٥٢-٨٨٦ م) وكان يصنع بيده الادوية الشجارية ((وكانت داره الدار المعروفة بدار ابن الشجيري ... وكان صانعاً بيده عالماً بالادوية الشجرية))^(١٤) وجواد النصراني الذي ظهر في عهد الأمير محمد ايضاً وينسب اليه اللعوق ودواء الراهب والبسونات المنسوبة اليه والى حمدين ابن ابان الذي ينسب اليه بعض السفوفات^(١٥) . فقد كان طبيباً حاذقاً وصيدلانياً مجرباً (وكان لا يركب الدواب الا من نتاجه ولا يأكل الا من زرعه ولا يلبس الكتان الا من كتان ضيعته)^(١٦) وقد ذكر ابن ابي اصيبعة الصيدلاني جواد النصراني بقوله (وكان في ايام الامير محمد وله اللعوق المنسوبة الى جواد وله دواء الراهب والشرايات والسفوفات المنسوبة اليه والى حمدين وبني حمدين كلها شجارية)^(١٧) .

ويظهر من النص ان جواد النصراني كان على دراية كبيرة بعلم الادوية وجمعها وتحضيرها والافادة منها كالحمددين وابنائهم ومهارة كبيرة في علم العقاقير الطبية . كما كان ابن ملوكة النصراني الذي ظهر في ايام الامير عبدالله (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٠م) و أول دولة الخليفة عبدالرحمن الناصر ، من اشهر الصيادلة (كان يصنع بيده ويفصد العروق وكان على باب داره ثلاثون كرسيّاً لعود الناس)^(١٨) .

ب . اوائل النباتيين الاندلسيين :

ومن اوائل العلماء الذين رحلوا من المشرق الى الاندلس في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن، احمد بن اياس رائد الحركة الطبية والصيدلانية في الاندلس الذي ينسب اليه يسون حمددين وهو (شراب) يتألف من مائة صنف من الاعشاب ، فقد كان استاذة طبيبياً عراقياً من حران اسمه يونس بن احمد الحراني الذي هاجر الى الاندلس هو الاخر في فترة الازدهار والذي ادخل معجوناً لأوجاع الجوف^(١٩) . ومنهم محمد بن فتح الذي برز وبرع في عمل المراهم لعلاج الحروق^(٢٠) . وهكذا حل علم الصيدلة المشرقي المتأثر بالنصوص الاغريقية واللاتينية والهندية محل المعارف الصيدلانية الشعبية المتواضعة والعتيقة والمنحدرة من الفترة الرومانية المتأخرة في بلاد الاندلس^(٢١) .

يونس بن احمد الحراني :

قدم من المشرق ايام الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فأشتهر بقربطبة وحاز الذكر فيها قال ابن جلجل : ((رأيت حكاية عند ابن الاصبع الرازي بخط امير المؤمنين المستنصر وهي ان هذا الحراني ادخل الاندلس معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين ديناراً لأوجاع الجوف ، فكسب به مالاً فأجتمع خمسة من الاطباء مثل حمددين وجواد وغيرهما وجمعوا خمسين ديناراً ، فأشترروا منه شرابه من ذلك الدواء ، وانفرد كل واحد منهم بجزء يشمه ويذوقه ويكتب ماتؤدي اليه منه بحسه ، ثم اجتمعوا واتفقوا على ما حدسوه وكتبوا بذلك ، ثم نهضوا الى الحراني وقالوا له قد نفعك الله بهذا الدواء الذي انفردت به ... فأستعرض كتابهم فقال : ما اعدتكم من ادويته دواء . ولكن لم تصيبوا تعديل اوزانه ، وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير ، فأشركهم في علمه وعرف من حينئذ بالاندلس))^(٢٢) .



وفي عصر الخلافة تألفت شخصيات عديدة في علم الادوية نذكر منهم يحيى بن اسحاق ، وكان ذكياً بصيراً بالعلاج ، يصنع الادوية بنفسه ، وله في الطب مؤلفات عديدة وحضي بثقة الخليفة الناصر ، واستوزره وولي الولايات والعمالات في عهده^(٢٣) . والوزير عبد الرحمن بن شهيد ، مصنف الادوية المفردة ، يقول عنه المقري ((اية الله تعالى في الطب وغيره ، حتى انه عافى جميع ما في كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوي بالادوية ما امكن بالاغذية او ما يقارب منها واذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوي بالمركبة ما وجد سبيلاً الى المفردة واذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب ، بل يقتصر على اقل ما يمكنه وله غرائب مشهورة في الابرء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج واقربه))^(٢٤) .

ثالثاً. ازدهار الدراسات الدوائية :

اصاب علم الصيدلة تطوراً عظيماً بفضل النص العربي لكتاب الحشائش لديسقوريدس (Materia medica) الذي اعده اطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ويذكر ان كتاب ديسقوريدس اختصر باللغة اللاتينية مرتين في طليطلة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي^(٢٥) .

أ. كتاب الحشائش لديسقوريدس :

في سنة (٣٣٧هـ / ٩٤٨م) ارسل الامبراطور قسطنطين السابع امبراطور بيزنطة سفارة الى عبد الرحمن الناصر ، وكان من بين ما حمله الرسل من الهدايا نسخة مكتوبة بالاغريقية من كتاب ديسقوريدس في الطب والصيدلة(مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوباً بالاغريقي الذي هو اليوناني)^(٢٦) .

كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في ايام جعفر المتوكل وكان المترجم له اصطف بن باسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وما لم يعلم له من اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالاً منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره^(٢٧) .

قال ابن جلجل : ((وورد هذه الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسماً بالعربية ومنه ما لم يعرف له اسماً ، فانتفع الناس بالمعروف منه ، بالمشرق وبالاندلس الى ايام الناصر عبد الرحمن بن محمد وهو يومئذ صاحب الاندلس ، فكاتبه ارمانوس الملك ، ملك القسطنطينية احسب في سنه سبع وثلاثين وثلثمائة ، وهاداه بهدايا لها قدر عظيم ، فكان من جملة هديته كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب))^(٢٨) .

ولما لم يكن في قرطبة من يعرف الاغريقية ، فقد سأل الناصر الامبراطور من ان يبعث اليه واحداً من العارفين بها وباللاتينية ، فأرسل اليه عام (٣٤٠هـ / ٩٥١م) الراهب نيقولا لكي يقوم بتحديد انواع النباتات التي ذكرها ديسقوريدس لابتترجمة الكتاب فنشط في انجاز ذلك العمل بمعاونة حسداي بن شبروط*^(٢٩) وفسر من اسماء عفاقير ديسقوريدس ماكان مجهولاً وهو اول من عمل بقرطبة (ترياق الفاروق) على تصحيح

الشجارية التي فيه ، وكان في ذلك الوقت من الاطباء الباحثين على تصحيح اسماء عقاقير الكتاب وتعيين اشخاصه محمد المعروف بالشجار* * ورجل كان يعرف بالبسباسي* * * و ابو عثمان الجزار# ومحمد بن سعيد الطبيب## وعبد الرحمن بن اسحاق بن هيثم#### و ابو عبد الله الصقلي& وكان يتكلم اليونانية وله المام بتركيب الادوية^(٣٠) .

واستطاع العرب بمعونة هذا الراهب ان ينجزوا مراجعة دقيقة وكاملة للنص العربي المشرقي لكتاب ديسقوريدس وان يتعرفوا على هوية القسم الاكبر للنباتات المذكورة ، وهو انجاز ذو اهمية فائقة لان اللغة العلمية اليونانية ، اصبحت تشكل منذ ذلك الحين جزء من ميراث مجموعة من الحكماء مثل حسداي بن شبروط وابن جلجل&& ومسلمة بن احمد المجريطي&&& ، الذي الف كتاباً في الادوية المفردة ضاع فيما ضاع من الكتب ، الذين كان لهم تلاميذهم الخاصون في النصف الاول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي^(٣١) .

وعرفت بلاد الاندلس في اواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الملاحظات النباتية الشائعة في المشرق اذ يردد حامد بن سمجون (عاش في حدود ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) في كتابه الذي افه في العقاقير اصداء كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري (ت : ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م)^(٣٢) . ويبدو ان اهل الاندلس في ذلك الحين لم يعرفوا الترجمة العربية لكتاب ديسقوريدس التي صنعها اصطف بن باسيل في ايام الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٦١ م) او الترجمة الاخرى التي قام بها حسان الناطلي استاذ ابن سينا سنة (٣٧٤ هـ / ٩٨٥ م)^(٣٣) .

اثر كتاب الحشائش :

كان لإطلاع أهل الأندلس على كتاب الحشائش اثر حاسم في مجرى الدراسات الطبية والصيدلانية في ذلك البلد ومن دلائل هذا :

١ . سعيد بن عبد الرحمن بن عبد ربه :

وهو ابن اخي ابي عمرو احمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب (العقد الفريد) وهو الذي ابتكر طريقة جديدة في علاج الحميات قال عنها ابن ابي اصيبعة : ((كان مذهبه في مداواة الحميات ان يخلط بالمبردات شيئاً من (بياض بالأصل) وله في ذلك مذهب جميل ولم يخدم بالطب سلطاناً))^(٣٤) ذكر سليمان بن ايوب الفقيه انه اعتل بحمى طاولته فعالجه بن عبد ربه بثمان عشرة حبه من حبوب مدورة ، اوصاه ان يتناول كل يوم منها واحدة ، فلما فعل برئ^(٣٥) . ولسعيد بن عبد ربه من الكتب كتاب (الاقربادين) ، (تعاليق ومجريات في الطب)^(٣٦) .

٢ . احمد وعمر ابنا يونس بن احمد الحراني :

اللذين اظهر براعة في علم الادوية ، فقد رحل احمد وعمر الى المشرق سنة (٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر ثم عاد الى الاندلس سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) فالحقهما الحكم بخدمته واسكنهما مدينة الزهراء ، فقد امتاز احمد بالخبرة في تحضير الادوية بينما اشتهر عمر بالكحاله ، ويضن انه



هو الذي علم ابا القاسم الزهراوي طريقة استخراج ماء العين بواسطة الابرة ، ففي عصر الحكم ذاع شهرت الطبيب الصيدلاني الزهراوي ، الذي كان خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وله التصانيف في صناعة الطب افضلها كتابه المعروف (بالزهراوي) وله كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) (٣٧) .

ويقول صاعد بن احمد الاندلسي : وكان احمد ((بصيراً بالادوية وصانعاً للاشربة والمعجنات ومعالجاً لما وقف عليه)) (٣٨) . وذكر ابن جلجل (رأيت له اثني عشر صيباً صقالبة طباخين للاشربة صناعتين للمعجنات بين يديه ، وكان قد استأذن امير المؤمنين المستنصر ، ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى فأباح له ذلك ، وكان يداوي العين مداواة نفسية وولاه هشام المؤيد بالله خطة الشرطة وخطة السوق ومات بحمى الربع وعلة الاسهال وخلف ما قيمته ازيد من مائة الف دينار) (٣٩) .

ويتضح من هذا النص ان هناك مصنعاً للادوية يشرف عليه احمد ابن يونس ، وان هذا المصنع كان تحت اشراف الدولة بل تحت اشراف الخليفة الحكم المستنصر نفسه ، مما يعطي اهمية كبيرة الى الدراسات الدوائية وعملية تحضيرها ، تمنح لهؤلاء الصبيان رواتب من خزينة الدولة .

ونتيجة لازدهار الطب والصيدلة في هذه الفترة ، اسس الخليفة الحكم المستنصر بالله ديوان الاطباء يسجل فيه اسم كل طبيب محترف مهنة الطب والصيدلة ، واذا ارتكب خطأً يتوجب العقاب (٤٠) . وكان رئيس الديوان يعرف (رئيس الصناعة الطبية ، وهو منصب هام يقابل ما نطلق عليه اليوم وزير الصحة ، اذ كان فيما يبدو المسؤول الأول ، امام الخليفة في صناعة الطب وما يتعلق بها من الادوية والعقاقير) (٤١) .

٣. ابن جلجل :

اعظم نباتي ظهر في عصر الخلافة هو ابو داود سليمان بن حسان بن جلجل ت (٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) ، كان طبيب الخليفة هشام المؤيد ، وقد وضع مؤلفاً حسناً فسر فيه اسماء الادوية المفردة من كتاب الحشائش لديسقوريدس (العين زربي) ، الفه سنة (٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م) بمدينة قرطبة ، وبذلك افصح عن مكنونها واوضح مستعلق مضمونها (٤٢) ، وقد عبر ابن جلجل عن ذلك بقوله ((وكانت لي معرفة في تصحيح هيولي الطب ، الذي هو اصل الادوية المركبة ، حرص شديد وبحث عظمه حتى وهبني الله ذلك بفضل به قدر ما اطع عليه من نيتي في احياء ما خفت ان يدرس وتذهب منفعتة لابدان الناس فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما انبتته الارض واستقر عليها من الحيوان المشاء والسباح في الماء والمنساب ، وما يكون تحت الارض في جوفها من المعدنية كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق)) (٤٣) . ولابن جلجل من الكتب : (كتاب تفسير الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس الفه في ربيع الاخر سنة (٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م) بمدينة قرطبة في دولة الخليفة هشام المؤيد (٤٤) .

والف تاريخاً للطباء في خلافة هشام المؤيد ، ما يدل على ان العلم بلغ درجة كبيرة من التقدم ، ومقالة له في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به (٤٥) .

كان ديسقوريدس قد اغفل ذلك ولم يذكره اما لانه لم يره ولم يشاهده عياناً ، واما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وابناء جنسه ولابن جلجل ايضاً :

رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطبيين ، وهو كتاب يتضمن ذكر شيء من اخبار الاطباء والفلاسفة الفه في ايام المؤيد بالله^(٤٦) .

رابعاً / رموز علماء الادوية :

اثمرت الدراسات الدوائية وانت اكلها وخاصة في نهاية عصر الخلافة والعصور اللاحقة ، نتيجة للدراسات على كتاب الحشائش اضافة الى الابتكارات والاختراعات التي تمخضت عن الفكر العربي الاسلامي فيما يخص الادوية واستخداماتها .

فقد وصل علم النبات قمته في بلاد الاندلس في كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب) الذي دونه كاتب مجهول هويته في اواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ويتضمن كتاب عمدة الطبيب على مثال رائع لتصنيف النبات بحسب الجنس والنوع والصنف ، وهو نظام تصنيفي اكثر تطوراً من النظم السابقة له الى حد كبير ويضمنها نظم ارسطو وثيوفراستس . ويبدو ان مؤلفات هذا الاخير لم تؤثر في زراعي الاندلس بصورة مباشرة على الرغم من اهتمامهم بموضوع التطعيم فأبن البصال على سبيل المثال ، يشير الى انه اصاب نجاحاً في تطعيم النبات ذات الطبيعة الواحدة فقط ، كما انه حاول ان يعد ذلك تصنيفاً مثل ما فعل ابن العوام في وقت لاحق ، غير ان تصنيفه لا يرقى الى مصاف ما توفر عليه عمدة الطبيب^(٤٧) . لأحتوائه على نظام تصنيفي للنبات اكثر تطوراً من النظم السابقة .

١. ابن الجزار :

اثرت الدراسات النباتية على تطور العلوم الدوائية فقد شهد اواخر عصر الخلافة بروز ابن الجزار ، احمد بن ابراهيم بن ابي خالد القيرواني (ت: ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) ، كان طبيباً الى جانب كونه صيدلانياً فقد ذكر بن ابي اصيبعه ، انه كان يضع على باب داره غلاماً يسمى (رشيق) اعد بين يديه جميع المعجونات والاشربة والادوية ، فأذا رأى القوارير بالغداة ، امر بالجواز الى الغلام واخذ الادوية منه نزهةً بنفسه ان يأخذ شيئاً من احد^(٤٨) .

نستنتج من ذلك ان ابن الجزار قد خصص في داره مكاناً لصنع الادوية وبذلك فرق بين (بيت العيادة) وهي بيت الوصفات الطبية ، وبين بيت الصرف (صرف الدواء) وبذلك بدأ تاريخ الصيدلة ، كما يتضح من مؤلفاته وتجاربه الدوائية التي اوردها في كتبه انه كان يعد الدواء بنفسه او يقوم بالاشراف المباشر على تحضيره وتركيبه اما الغلام فهو مساعد يكلف بصرف الادوية للمرضى حسب الوصفات الطبية التي يحررها ابن الجزار ، فلغلام ، لا بد ان يكون على درجة من الوعي والتتقيف والمعرفة الدوائية ، ليكلف بهذه الوظيفة . وقد الف ابن الجزار الطبيب الصيدلاني عدد من المؤلفات نذكر منها : كتاب في علاج الامراض يعرف (زاد المسافر) مجلدان . ورسالة في ابدال الادوية^(٤٩) ، وكتاب (الاعتماد في الادوية المنفردة) وكتاب العطور وكتاب البغية في الادوية المركبة وكتاب في مصالح الاغذية وغيرها^(٥٠) .

وهكذا اثرت الدراسات النباتية على تطور العلوم الدوائية فقد شهد عصر الطوائف مشاهير العشابين من امثال الوزير ابو المطرف عبدالرحمن أبن وافد وابو عبيد الله عبدالله ابن عبدالعزيز البكري الذي كان له



معرفة بالأدوية المفردة وخواصها وعبدالرحمن ابن اسحاق ابن الهيثم الذي ينسب اليه كتاب (الكمال والتمام في الادوية المسهلة والمقيئة) وكتاب الاختصار والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد (الاكتفاء بالدواء في خواص الاشياء) وكتاب السمائم^(٥١).

٣.٢. ابن وافد :

الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير(٣٨٧- ٤٦٦هـ/٩٩٧- ١٠٧٤ م) كان وزيراً لأبن ذي النون صاحب طليطلة في عصر الطوائف فقد اشتهر ابن وافد بعلم الادوية التي اصابها تطوراً عظيماً بفضل النص العربي لكتاب الحشائش لديسقوريدس الذي اعده اطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، في حين ترجم كتاب ابن وافد في العلاج بالحمامات والينابيع الطبيعية والعقاقير النباتية المفردة الى لغات نصرانية الاولى الى اللغة اللاتينية بعنوان De balneis والثاني الى اللغة القطلونية بعنوان (كتاب العقاقير المفردة) وفي هذا الكتاب الاخير ثمره عقدين من العمل والجهد فقد كان ابن وافد (أحد اشرف اهل الاندلس وذوي السلف الصالح منهم والسالفه القديمة فيهم ، عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهمها ومطالعة كتب ارسطو طاليس وغيره من الفلاسفة)^(٥٢) قال صاعد : ((اذ تمهر بعلم الادوية المفردة ، حتى ضبط منها ما لم يضبطه احد في عصره والف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له ، جمع فيه ما تضمن كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفين في الادوية المفردة ورتبه احسن ترتيب))^(٥٣) وقال ابن جلجل (انه عانى جمعه وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من اسماء الادوية وصفاتها وادعه اياه في تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحو من عشرين سنة حتى كمل موافقاً لغرضه وتم مطابقاً لبغيته)^(٥٤) وهو يشتمل على قريب من خمسمائة ورقة .

اقتفى ابن وافد خطى ديسقوريدس وجالينوس وجمع في الوقت نفسه ملاحظاته الخاصة التي قادته الى تفضيل استعمال العقاقير المفردة على المركبة ، او الاستغناء عن هذا بالكامل كلما امكن ذلك والاكتفاء بالعلاج بواسطة نظم الاغذية التي ثبتت فائدتها^(٥٥) ، وبذلك قال صاعد : ((وله في الطب منزع ومذهب نبيل : وذلك انه كان لا يرى التداوي بالادوية ، ما امكن التداوي بالاغذية او ما كان قريباً منها فأذا دعت الضرورة الى الادوية ، فلا يرى التداوي بمركبها ما وصل الى التداوي بمفردها ، فأذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب ، بل اقتصر على الاقل ما يمكن منه))^(٥٦).

٣.٣. ابو عبيد الله البكري :

ومن مشاهير العشابين في عصر الطوائف ايضاً ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري من مرسية من اعيان اهل الاندلس (ت: ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ، جغرافي مشهور وصيدلاني بارز ، كانت له معرفة بالادوية المفردة وخواصها ومنافعها واسماؤها ونعوتها وقد الف في الحشائش كتاباً سماه ((اعيان النبات والشجيرات الاندلسية)^(٥٧).

٤. ابن السيد الخافقي :

ابو جعفر احمد بن محمد بن السيد الخافقي ، اعظم صيادلة الاندلس في عصر المرابطين (عاش في حدود سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م) ، عكف على دراسة النبات ، شأنه في ذلك شأن النباتي ، ابن صالح وابي الحجاج^(٥٨) برع في الطب ومعرفة خصائص النبات اذ تجول في انحاء الاندلس وافريقيا بحثاً عن صنوف النباتات الطبية ثم قام بتصنيفها وسجلها بأسمائها العربية والبربرية واللاتينية^(٥٩) امام فاضل وحكيم وعالم يعد من الاكابر في الاندلس ، وكان اعرف اهل زمانه بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصها واعيانها ومعرفة اسمائها وكتابه في (الادوية المفردة) لانظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه ، وقد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس ثم ذكر بعد قولهما ما تجدد للمتأخرين من كلام في الادوية المفردة^(٦٠) . فجاء كتابه جامعاً لما قاله الافاضل في (الادوية المفردة) ودستور يرجع اليه فيما يحتاج الى تصحيحه منها .

وقد ضاع اصل هذا الكتاب ، ولم يصلنا منه غير مختصر له عمله ابو الفرج ابن العبري المتوفي (٦٨٤ هـ / ١٢٨٦ م) وقد نشر هذا المختصر ماكس مايهوف وجورج صبحي في القاهرة سنتي (١٩٣٢ م و ١٩٣٣ م) ويرى ما يرهوف ان الخافقي ((اعلم اطباء المسلمين في العصور الوسطى بالادوية والاعشاب)) كما قام هذا العالم الالمانى بترجمة مؤلف الخافقي البالغ الغرابة المعروف (بالمرشد في الكحل)^(٦١) . ١ .

٥. الادريسي :

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس القرطبي المعروف بالشريف الادريسي (ت: ٥٦٠ هـ / ١١٨٢ م) اعظم جغرافي الاسلام ، وكان عالماً بقوى الادوية المفردة ومنافعها ومناباتها واعيانها وله من الكتب كتاب (الادوية المفردة)^(٦٢) ويشير ابن البيطار كثيراً على كتاب في الادوية المفردة للادريسي ، يسمى كتاب (الجامع لصفات اشبات النبات وضروب انواع المفردات من الاشجار والثمار والحشائش والازهار) وكان يضمن انه ضاع حتى عثر عليه مايهوف وقام بدراسته في سنة (١٩٣٠ م) مخطوطة رقم ٣٦١٠ في مكتبة الفاتح في استنبول وهذا الكتاب يعتمد اعتماداً تاماً على كتاب الحشائش لديسقوريدس^(٦٣) .

وللادريسي كتاب اخر اسماه (الصيدلة) بداه بمقدمة عامة تتسم بطابع البحث في النبات كشف عنه اخيراً في مخطوط بمكتبة في استنبول ومما يؤسف له ان هذا المخطوط لا يشتمل الا على النصف الاول من الكتاب ، وقد ترجم مايهوف بعض مقتبسات منه وقدم فكره عامة عن الكتاب كله في دراسة لعلم النبات العام والصيدلة في الاندلس .

ويبدو من هذه الدراسة انه كان كثير الاعتماد على القدماء من الناحية الطبية ، بينما كان من ناحية علم النبات مستقلاً في الرأي كثير الاعتداد بالنفس جاهلاً بمذاهب القدماء ، فهو لم يعرف ثيوفراستس ، الذي عرفه جميع علماء العرب ، ويبدو انه لا يعرف أيضاً الكتاب المنسوب الى ارسطو في النبات ، وتتم اوصافه للنباتات على انه مفارقة في علم النبات مفارق شخصية خاصة وغزيرة .

ومن مميزاته انه يذكر الاسماء المطابقة للنباتات في لغات مختلفة ، كما انه يفرق بين الاسطلاحات البيزنطية (الإغريقية) والاسطلاحات الاغريقية القديمة (اليونانية) وهذه الدقائق لها صلة وثيقة بلا شك بأقامة الادريسي الطويلة في صقلية^(٦٤) .

٦. ابن الرومية :

كانت دولة الموحيدين راعية للعلوم الصرفة ، وفي مقدمتها العلوم الطبية وما يتعلق بها من العقاقير والادوية ومن اشهر العشابين والنباتيين في الاندلس في هذا العهد ابو العباس احمد بن محمد بن مفرج بن ابي الخليل المعروف بأبن الرومية (٥٦١-٦٣٧ هـ / ١١٦٥-١٢٣٩ م) وخلفه من بعده تلميذه ضياء السدين عبدالله بن احمد المالقي المشهور بأبن البيطار .

وكان ابن الرومية من اهل اشبيلية ويلقب بالنباتي ويعرف بالعشاب^(٦٥) وكان متعصباً لأبن حزم بعد ان تفقه بالمذهب المالكي^(٦٦) ، اذ مال اخيراً الى المذهب الظاهري .

وقد طاف بنواحي المغرب والمشرق وتجول من اجل ذلك في بلاد الاندلس والمغرب وبقية الشمال الافريقي ثم رحل الى المشرق بعد سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) وتجول في مصر والعراق والحجاز فأكتشف كثير من النباتات المجهولة ووقف على خصائصها حتى نال فوزاً كبيراً من المعرفة بأسرار النباتات لم يتح لغيره^(٦٧) وسجل ملاحظاته ومشاهداته في رحلته هذه لأكتشاف النباتات الطبية .

وكان اول من درس النبات بطريقة مباشرة ، ولم يقتصر على النظر اليه على انه مجرد عشب يتداوى به الناس ((فقد اتقن علم النبات ومعرفة اشخاص الادوية وقواها ومنافعها واختلاف اوصافها وتباين مواطنها))^(٦٨) .

وذلك بمعينة نباتات كثيرة في بلاد مختلفة مما لم ينبت في المغرب وشاهد اشخاصها في منابقتها ونصرها في مواضعها^(٦٩) .

ولما وصل الى الاسكندرية سمع به السلطان الملك العادل ابو بكر بن ايوب (٥٨٩ - ٦١٥ هـ / ١١٩٣ - ١٢١٨ م) ، وبلغه فضله وجودة معرفته بالنبات ، فأستدعاه الى القاهرة وكرمه ورسم بأنه يقرر له جامكية وجرارية ويكون مقيماً عنده فلم يفعل وقال انما اتيت من بلدي لأحج ان شاء الله وارجع الى اهلي وبقي مقيماً عنده مدة وجمع الترياق الكبير وركبه ثم توجه الى الحجاز ولما حج عاد الى المغرب واقام بأشبيلية^(٧٠) .

كان ابن الرومية عارفاً بالعشب والنبات ، ويجلس في دكانه بأشبيلية يبيع الحشائش^(٧١) ، وذكر ابن الابار ((وكانت له معرفة بالنبات وتمييز العشب وتحليله فاق فيها اهل عصره وقعد في دكان لبيعه))^(٧٢) ، بينما يقول عنه ابن سعيد ((جوال بالبلاد المغربية والمشرقية ... وعلمه الذي اشتهر به علم انواع الحشائش ويقال انه اظهر جملةً منها بالمغرب ووقف على اسمائها وصورها بالمشرق))^(٧٣) .

وذكر البرزالي قولاً يدل على سعة علمه وتبحره بالحشائش فقد قال ((انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة ... وقال بعضهم : اجتمعت به وتفاوضت معه في ذكر الحشائش فقلت له : قصب الذريره فقد ذهب في

كتاب الطب وذكروا انه يستعمل منه شيء كثير ، وهذا يدل على انه كان موجوداً كثيراً واما الان فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود وانما لا يعلمون اين يطلبونه فقلت له : واين هو فقال بالاهواز منه شيء كثير ((٧٤) .

اما ابن الخطيب يذكر عنه ((عجيبة نوع الانسان في عصره وما قبله وما بعده في معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليلها واثبات اعيانها على اختلاف اطوار منابتها بمشرق او مغرب حساً ومشاهدة وتحقيقاً لا مدافع له في ذلك ولا منازع حجةً لا ترد ولا تدفع اليه يسلم في ذلك ويرجع قام على الصنعتين لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات اذ مواردتهما الرحلة والتقييد وتصحيح الاصول وتحقيق المشكلات اللفظية وحفظ الاديان والابدان وغير ذلك))(٧٥) .

اما تصانيفه في النبات فكثيرة منها : (شرح حشائش ديسقوريدس وادوية جالينوس) والتنبيه على اوهام ترجمتها و(التنبيه على اغلاط الغافقي) والرحلة النباتية والمستدركة وهو القريب الذي اختص به الا انه عدم عينه بعده ، وكان معجزة في فنه ، الى غير ذلك من المصنفات الجامعة والمقالات المفيدة والتعليق المنوعة(٧٦) .

٧. ابن البيطار :

هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار ، ضياء الدين المالقي ، وهو من مالقة اشتغل بالرحلة زماناً طويلاً فزار بلاد الروم وتجول في المغرب ومصر ، رغبه في العلم وجمع الحشائش والنباتات ودراسة كل نبات في زمانه، فكان اعظم علماء النبات ((انتهت اليه معرفة تحقق النبات وصفاته وامكانه ومنافعه)) (٧٧) . يقول المقري بحقه ((كان ابن البيطار اوحد زمانه في معرفة النبات ، سافر الى بلاد الافارقة واقصى بلاد الروم ، واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعابن منابته وتحققها وعاد بعد اسفاره))(٧٨) . دخل ابن البيطار في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م) ، فوثق به واعتمد عليه في المسائل الطبية والادوية المفردة والحشائش ، وجعله في الديار المصرية رئيساً على سائر الحشائش واصحاب البسطات الطبية(٧٩) .

اصطحبه الملك الكامل في رحلته الى الديار الشامية وهناك التقى بابن ابي اصيبعة الذي اعجب به ، اعجاباً شديداً(٨٠) . ومما قال فيه (رأيت من حسن عشرته وكمال مرونته وغازاة علمه ودرايته ما يفوق الوصف وكانا يجتمعان معاً للدراسة ويحظران الكتب والمؤلفة في الادوية المفردة ككتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي والادريسي وغيرهم) .

كان ابن البيطار يذكر اولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني ، ثم يذكر جملة ما قاله ديسقوريدس وجالينوس والمتأخرين وما اختلفوا فيه وكان لا يذكر دواء الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس وفي أي عدد هو من جملة الادوية المذكورة في تلك المقالة ، فقد وقف على هذه الكتب جميعاً واستخلص منها الادوية والعقاقير المتنوعة(٨١) . وقد خدم ابن البيطار بعد الملك الكامل ولده الصالح وحضي عنده الى ان توفي بشعبان سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م)(٨٢) . والحق ان ابن البيطار كان اعظم

عالم نباتي وصيدلاني ظهر في العصور الوسطى كلها ، كان اوحد زمانه في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواقع نباته ونعت اسمائه على اختلاف تنوعها .

منهجه :

قال ابن البيطار في فاتحة كتابه يتحدث عن منهجه : ((وبعد فأنه لما رسم بالوامر المطاعه الملكية الصالحة النجمية بوضع الكتاب في الادوية المفردة ، نذكر فيه ماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها واصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من خرجها او عصارتها او طبخها والبدل منها عند عدمها ... جمعت هذا الكتاب في القول في الادوية المفردة والاعذية المستعملة على الدوام والاستمرار ، عند الاهتياج اليها في ليل كان او نهار ومضاف الى ذلك اذكر ما ينتفع به الناس (من) شعار ودثار واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الافضل ديسقوريدس بنصه وكذا فعلت ايضاً بجميع ما اورده الفاضل جالينوس في الست مقالات من مفرداته بنصه ، ثم الحققت بقولهما من اقوال المحدثين من الادوية النباتية والمعدنية ما لم يذكره ووصفت عن ثقة المحدثين وعلماء النباتيين مالم يطفاه واسندت — في جميع ذلك الاقوال الى قائلها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها واختصت بما تم لي به الاستبداد ، وتوضح لي القول ووضح عندي الاعتماد))^(٨٣) .

مؤلفاته :

كان ابن البيطار مؤلفاً خصباً غزير الانتاج وبعد كتابه (الجامع لمفردات الادوية والاعذية) من اشهر كتبه ، فهو معجم طبي علاجي رتبه على حروف الهجاء لتقريب مأخذه ، واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة واسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها ، وبين الصحيح منها ، وما وقع الاشتباه فيه حتى لم يوجد في الادوية المفردة كتاباً اجل ولا اجود منه .

فقد الفه بعد دراسات طويلة وتحقيقات مضية في بلاد الروم والمغرب والاندلس واعتمد فيه على كتب عديدة لاكثر من مائة وخمسين مؤلفاً^(٨٤) لمؤلفين سابقين من جملتهم ابن جلجل والغافقي وغيرهما واسند في كل ذلك جميع الاقوال الى قائلها وعرف طريق النقل فيها يذكر ناقلها ولم يقف في هذا الكتاب عند حد النقل بل اتى فيه بملاحظات خاصة وتنقيحات متعددة كما وصف فيه ايضاً اكثر من ١٤٠٠ عقار بين معدني ونباتي وحيواني^(٨٥) . وهو يضم اكثر من ٢٣٣٠ مادة جمع فيها كل ما ذكره وسابقوه من اليونان والعرب عن الادوية وزاد عليها ٣٠٠ دواء لم يشير اليها احد قبله^(٨٦) .

وقد تبين من هذا الكتاب الفوائد الطبية لجميع النباتات التي ذكرها وكيف يكون استعمالها وقد ترجم الكتاب الى اللاتينية والفرنسية والالمانية^(٨٧) .

ويختص ابن البيطار في كتابه هذا مايربو على ثلاثة الاف عقار مفرد مع مراعاة المعلومات التي جاء بها سابقوه واغنائها بملاحظاته الخاصة وهكذا يتوفر لكتابه على اكثر من طعف الاصناف النباتية التي توفرت عليها النسخة العربية لكتاب ديسقوريدس^(٨٨) .

وله ايضاً كتاب (المغني في الادوية المفردة) وهو يلي كتاب الجامع في الاهمية وهو بحث مختصر في الادوية مرتب حسب مداواة الاعضاء المريضة يتناول صلاح الاعضاء عضواً عضواً بحث في الادوية الخاصة ، بامراض الرأس والاذن وعرض للأدوية المجملة والادوية التي تعالج بها الحمى والسموم كما اتى على ذكر اكثر العقاقير شيوعاً في زمانه^(٨٩). وله ايضاً كتاب (الافعال الغريبة والخواص العجيبة) وكتاب (الابانة والاعلام فيما في المنهاج من الخلل والاهوام) وغير ذلك من الكتب^(٩٠) .

شهدت مملكة غرناطة نهضة علمية في مجال علم الادوية ، فقد استعان الغرناطيون بحشائش معينة توضع فوق المكان الملتهب فتشفيه وخاصة مرض النقرس ، كما استعملوا الضماد في مداواة عرق النسا . ولمع في المرية من العشابين احمد بن علي بن خاتمة الانصاري (ت: ٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م) صاحب كتاب (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) الذي وصف فيه وباء سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)^(٩١) . ومحمد بن السراج (ت: ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) وقد عاش في غرناطة زمناً ثم هاجر الى مراكش ووضع في الطب والاعشاب كتباً كثيرة ولم يبق منها شيئاً ولسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) الكاتب والمؤرخ وتميز بالعلم والطب والادوية والاف في ذلك كتاباً من جزئين ، درس فيها الامراض من وجهتين العامة والخاصة والحميات والجراحة ، وصنع لها الادوية اللازمة لمعالجتها^(٩٢) .

الخاتمة

عرف علم الصيدلة عند العرب بعلم المفردات او العقاقير والادوية الطبية ، فكانوا رواد هذا العلم بتأسيسهم المدارس التحضيرية والاماكن لبيع الادوية ، فكانت قرطبة مركز الدراسات الصيدلانية ففيها ظهرت اعظم مجموعة من المشتغلين بعلم الادوية وساعد في تطورها بعض العشابين الذين رحلوا من المشرق الى قرطبة ولا تزال الادوية على اسمائها التي وصفت بها .

ان رحيل علماء من المشرق الى الاندلس امثال احمد بن اياس ويونس بن احمد الحراني وغيرهم يمثل امتزاج للافكار في علم الادوية بين المشرق والمغرب وما نتج عنه من حلول علم الصيدلة المشرقي المتأثر بالنصوص الاغريقية والهندية محل العلوم الدوائية الشعبية المتواضعة في الاندلس .

وبوصول كتاب الحشائش لديسقوريدس الى قرطبة ، وبفضل النص العربي لهذا الكتاب الذي اعده الاطباء المشتغلين بعلم الادوية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، والذي يعتبر انجاز نو اهمية فائقة في مجال تطور العلوم الطبية والصيدلانية ، لأن اللغة العلمية اليونانية اصبحت تشكل منذ ذلك الحين جزء من ميراث علماء قرطبة وسائر الاندلس .

وبذلك عرف العرب في الاندلس الملاحظات النباتية والدوائية الشائعة في المشرق استناداً الى كتاب الحشائش لديسقوريدس والى ما تردد في كتاب العقاقير لأبي حامد بن سمجون من اصداء كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية .

تبين من متابعة النصوص التاريخية بأن الصناعات الدوائية خرجت من طوق الصناعات الشخصية الى مستوى معامل الدولة للصناعات الدوائية في عهد الحكم المستنصر ، اذ ان هناك مصنعاً للادوية يشرف



عليه احمد بن يونس وان هذا المصنع كان تحت اشراف الدولة بل تحت اشراف الخليفة الحكم المستنصر نفسه ، مما يعطي اهمية كبيرة لتطور الصناعات الدوائية في تلك الحقبة وبعدها .
 ونتيجة لأزدهار الطب والصيدلة في عصر الخلافة ، فقد استحدث ديوان في عهد الخليفة الحكم سمي (ديوان الاطباء) يسجل فيه اسم كل طبيب محترف في مهنة الطب والصيدلة وهو دليل على ما يوليه ولاة الامر من الاهتمام البالغ لصناعة الطب والادوية وما وصلت اليه الصنعة من التقدم والازدهار .
 وهكذا اثرت الدراسات الدوائية واتت اكلها خاصة في نهاية عصر الخلافة والعصور اللاحقة نتيجة الدراسات على كتاب الحشائش لديسقوريدس ، وما اضيف اليه من الابتكارات والاختراعات التي تمخضت عن الفكر العربي الاسلامي فيما يخص الادوية واستخداماتها، ووصل علم النبات والادوية قمته في بلاد الاندلس في كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب) الذي دون في اواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، لما يحتويه على نظام تصنيفي اكثر تطوراً من النظم السابقة له الى حد كبير وبضمنها نظم ارسطو وثيوفراستس .

الهوامش

- ١- مرحبا ، محمد عبدالرحمن ، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، (بيروت : ١٩٧٠) ، ١٠٠ .
- ٢- المرجع نفسه ، ١٠٠ .
- ٣- ماجد ، عبدالمنعم ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، ط٣ ، (القاهرة : ١٩٧٣) ٤٩-٥٠ .
- ٤- ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين احمد ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ط٤ ، (بيروت : ١٩٨٧) ، ٣ / ٧٩٠ ؛ بالنتيا ، انجل جنثالث ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس (القاهرة : ١٩٥٥) ٤٦٨ .
- ٥- لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، (القاهرة : ١٩٥٦) ٤٩٢ .
- ٦- مرحبا ، العلوم ، ١٠٠ .
- ٧- السامرائي ، خليل ابراهيم صالح ، دراسات في تاريخ المغرب العربي (الموصل . بلا) ٣٢٥ .
- ٨- المرجع نفسه ، ٣٢٧ .
- ٩- ظهر الاسلام ، (القاهرة : ١٩٦٢) ، ٣ / ٢٣٣ .
- ١٠- لوبون ، حضارة العرب ، ٤٨٧ .
- ١١- المرجع نفسه ، ٤٩٤ .
- ١٢- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ١٠٧-١٠٨ .
- ١٣- السامرائي ، دراسات ، ٣٢٨ .
- ١٤- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٦٦ ؛ بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٢ .
- ١٥- سالم ، سيد عبدالعزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، (بيروت : ١٩٧٢) ، ٢ / ٢١١ .
- ١٦- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٦٥ ؛ بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦١ - ٤٦٢ .
- ١٧- المصدر نفسه ، ٣ / ٦٥ ؛ المرجع نفسه ، ٤٦٢ .
- ١٨- المصدر نفسه ، ٣ / ٦٦ ؛ سالم ، قرطبة ، ٢ / ٢٢١ .
- ١٩- المصدر نفسه ، ٣ / ٦٦ - ٦٧ ؛ السامرائي ، خليل ابراهيم صالح واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، (الموصل : بلا) ، ٣٢١ .

- ٢٠- المصدر نفسه ، ٢ / ٤٨٥ - ٤٨٦ ؛ سالم ، قرطبة ، ٢ / ٢١٢ .
- ٢١- قيرنية ، خوان ، (العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الاندلس) الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس ، ٢ / ٢ ، (بيروت : ١٩٩٩) ، ١٣٠٠ .
- ٢٢- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٦٦ - ٦٧ ؛ فرحات ، يوسف وعيد ، يوسف ، معجم الحضارة الاندلسية (بيروت : ٢٠٠٠) ، ٢٥٦ .
- ٢٣- المصدر نفسه ، ٣ / ٦٨ .
- ٢٤- احمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، ج٤ ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ١٧٩ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ، (الاسكندرية : ١٩٨٥) ، ٢ / ٢٨٥ .
- ٢٥- قيرنيه ، العلوم الفيزيائية ، ٢ / ١٣٠٥ .
- ٢٦- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٧٥ .
- ٢٧- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٥ .
- ٢٨- المصدر نفسه ٣ / ٧٥ .
- *- كان اعظم اطباء قرطبة ، له بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من اسماء وعقاقير كتاب ديسقوريدس الى العربية . المصدر نفسه ٣ / ٧٦ .
- ٢٩- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٦ ؛ قيرنيه ، العلوم الفيزياوية ، ١٣٠٠ ؛ بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٣ .
- ** - لم اعثر على ترجمة محمد الشجار .
- *** - لم اعثر على ترجمة البسباسي .
- #- ابراهيم بن ابي خالد ، من اهل القيروان ، كان من اهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم . المصدر نفسه ٣ / ٥٩-٦٠ .
- ##- لم اعثر على ترجمة له .
- ###- كان من اهل قرطبة ، ومن اعيان اطباء الاندلس وفضلاتها . المصدر نفسه ، ٣ / ٧٤ .
- & - لم اعثر على ترجمة له .
- ٣٠- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٦-٧٧ .
- &&- لاحظ ترجمته صفحة ٨ .
- &&&- من اهل قرطبة ، عاصر الامير الحكم ، وكان امام الرياضيين وحركات النجوم والافلاك بالاندلس . المصدر نفسه ٣ / ٦٢ .
- ٣١- قيرنيه ، العلوم الفيزياوية ، ١٣٠٠ .
- ٣٢- المرجع نفسه ، ١٣٠٠-١٣٠١ .
- ٣٣- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٧٥ ، بالنتيا ، تليخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٣ .
- ٣٤- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٠ .
- ٣٥- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٠ - ٧١ ؛ فرحات ، معجم ، ٢٤٢ .
- ٣٦- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٢ .
- ٣٧- سالم ، قرطبة ، ٢ / ٢١٤ ؛ بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٤ .



- ٣٨- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٦٧ - ٦٨ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، (بيروت : ١٩٧١) ، ١ / ٣٠٥ - ٣٠٦ .
- ٣٩- المصدر نفسه ، ٣ / ٦٨ .
- ٤٠- المصدر نفسه ، ٢ / ٤٩٤ ؛ سالم ، قرطبة ، ٢ / ٢٠٨ .
- ٤١- الصلابي ، علي محمد ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي ، ط٢ ، (بيروت : ٢٠٠٥) . ٢٣٢ .
- ٤٢- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٧٥ ، بالنتيا تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٥ .
- ٤٣- المصدر نفسه ، ٢ / ٧٧ .
- ٤٤- المصدر نفسه ، ٢ / ٧٧ .
- ٤٥- المصدر نفسه ، ٢ / ٧٧ ، بالنتيا تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٥ .
- ٤٦- المصدر نفسه ، ٢ / ٧٧ .
- ٤٧- قيرنيه ، العلوم الفيزياوية ، ١٣٠٤ .
- ٤٨- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٦٠ ، فروخ ، عمر ، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٧٩) ٥٨٨ .
- ٤٩- المصدر نفسه ، ٣ / ٦١ .
- ٥٠- يراجع المصدر نفسه ، ٣ / ٦١ .
- ٥١- فرحات ، معجم ، ٢٤٧ .
- ٥٢- ابن ابي اصيبعة ، ٣ / ٧٩ .
- ٥٣- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٩ .
- ٥٤- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٩ .
- ٥٥- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٩ ، قيرنيه العلوم الفيزياوية ، ١٣٠٥ .
- ٥٦- المصدر نفسه ، ٣ / ٧٩ بالنتيا تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٦٨ .
- ٥٧- المصدر نفسه ، ٣ / ٨٤ .
- ٥٨- قيرنيه ، العلوم الفيزياوية ، ١٣٠٦ .
- ٥٩- علام ، عبدالله علي ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي (القاهرة : ١٩٧١) ٣٦٣ .
- ٦٠- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٨٥ .
- ٦١- بالنتيا تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٧٢ .
- ٦٢- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ٨٥ .
- ٦٣- بالنتيا تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٧٤ ؛ السامرائي ، دراسات ، ٣٢٩ .
- ٦٤- مرحبا ، الموجز ، ١٠٢ .
- ٦٥- ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق : يوسف علي طويل ، (بيروت ، ٢٠٠٣) ، ١ / ٨٣ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣ / ١٩٨ .
- ٦٦- المقري ، نفح الطيب ، ٣ / ١٩٨ .
- ٦٧- علام ، الدولة الموحدية ، ٣٦٣ .
- ٦٨- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٣ / ١٣٣ .

- ٦٩- المصدر نفسه ، ١٣٣/٣ .
- ٧٠- المصدر نفسه ، ١٣٣/٣ .
- ٧١- المقري ، نفح الطيب ، ١٩٨/٣ .
- ٧٢- محمد بن عبدالله بن ابي بكر ، التكملة لكتاب الصلة ، ج١ ، تحقيق : ابراهيم الابياري (القاهرة : ١٩٨٩) ، ١٢١ .
- ٧٣- علي بن موسى ، اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي ، اختصره : ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن خليل ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٨٠) ، ١٨١ .
- ٧٤- المقري ، نفح الطيب ، ٣ / ١٩٧ .
- ٧٥- الاحاطة ، ١ / ٨٤ ؛ اعلام ، دولة الموحدين ، ٣٦٣ .
- ٧٦- المصدر نفسه ، ٨٧/١ ؛ المقري نفح الطيب ، ٢٦/٤ .
- ٧٧- الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، (بيروت : بلا) ، ٢٥٤/٣ .
- ٧٨- نفح الطيب ٢٧٦/٣ - ٢٧٧ .
- ٧٩- المصدر نفسه ، ٢٧٧/٣ .
- ٨٠- مرحبا ، الموجز ، ١٠٣ .
- ٨١- المرجع نفسه ، ١٠٤ ؛ الصوفي ، ، خالد ، تاريخ العرب في اسبانيا - عصر المنصور الاندلسي - (بلا - ت) ٢٠٥ ، بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٧٩ .
- ٨٢- المقري ، نفح الطيب ، ٢٧٧/٣ .
- ٨٣- بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٨٠ .
- ٨٤- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ١٣٣/٢ ؛ مرحبا ، الموجز ، ١٠٥ .
- ٨٥- المصدر نفسه ؛ المرجع نفسه .
- ٨٦- بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٧٩ ؛ السامرائي ، دراسات ، ٣٣١ .
- ٨٧- مرحبا ، الموجز ، ١٠٥ ؛ بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ١٧٩ .
- ٨٨- ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ١٣٣/٢ ؛ قرنيه ، العلوم الفيزيائية ، ١٣٠٦ .
- ٨٩- مرحبا ، الموجز ، ١٠٥ .
- ٩٠- المقري ، نفح الطيب ، ٢٧٧/٣ ؛ بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٨٠ .
- ٩١- المصدر نفسه ، ٢٤/١ .
- ٩٢- بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ٤٨١ - ٤٨٢ .